

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

أَنَّهَا أَسْمَاءُ السُّورِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا أَسْمَاءُ أَلْقَابِ»[480]. لكن يرد عليهما: أَنَّه كيف جعلت أَسَامِي لَتِسْعٍ وَعِشْرِينَ سُورَةٍ فَحَسْبُ، وَأَمَّا بَاقِي السُّورِ فَخَلُو عَنْ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ الْغَرِيبَةَ!! ثمَّ ما هِيَ الْمُنَاسِبَةُ لِتَسْمِيَةِ سِتِّ سُرٍ (الم): الْبَقْرَةُ، آلُ عِمْرَانَ، الْعَنْكَبُوتُ، الرُّومُ، لِقْمَانَ، السَّجْدَةُ. وَسَبْعُ سُرٍ (حم): غَافِرٌ، فَصَّلَتْ، الشُّورَى، الزَّخْرَفُ، الدُّخَانُ، الْجَاثِيَةُ، الْأَحْقَافُ – عَرَفَتْ بِالْحَوَامِيمِ. وَخَمْسُ سُرٍ (الر): يُونُسُ، هُودٌ، يُوسُفُ، إِبْرَاهِيمُ، الْحَجَرُ. وَسُورَتَيْنِ (طسَم): الشُّعْرَاءُ، الْقَصَصُ. وَهُوَ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي التَّسْمِيَةِ لَغَيْرِ مَا مَبْرُورٌ. هَذَا فَضْلًا عَنْ كَوْنِ التَّسْمِيَةِ – هُنَا – تَوْقِيفِيَّةً، وَلَمْ يَرُدْ بِذَلِكَ نَصٌّ مِنْ مَهْبِطِ الْوَحْيِ. وَلِلزَّمْخَشَرِيِّ نَفْسُهُ رَدٌّ لَطِيفٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، يَأْتِي عِنْدَ اسْتِعْرَاضِ الْوَجْهِ التَّالِي. الْوَجْهُ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ: أَنَّ يَكُونُ وَرُودُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ هَكَذَا، مَسْرُودَةٌ عَلَى نَمَطِ التَّعْدِيدِ[481]; كَالْإِيْقَاطِ وَقَرَعَ الْعَصَا، لِمَنْ تُحَدِّثُ بِالْقُرْآنِ وَبِغَرَابَةِ نَظْمِهِ، وَكَالْتَحْرِيكِ لِلنَّظَرِ فِي أَنَّ هَذَا الْمَتْلُوَّ عَلَيْهِمْ – وَقَدْ عَجَزُوا عَنْهُ عَنْ آخِرِهِمْ – كَلَامٌ مَنْظُومٌ مِنْ عَيْنٍ مَا يَنْظُمُونَ مِنْهُ كَلَامَهُمْ، لِيُؤدِّيهُمُ النَّظَرُ إِلَى أَنَّ يَسْتَيْقِنُوا: أَنَّ لَمْ تَتَسَاقَطْ مَقْدَرَاتُهُمْ دُونَهُ، وَلَمْ تَظْهَرْ مَعْجَزَاتُهُمْ[482] عَنْ أَنَّ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ بَعْدَ الْمُرَاجَعَاتِ الْمَتَطَاوِلَةِ – وَهُمْ أُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَزَعَمَاءُ الْحَوَارِ، وَهُمْ الْحُرَّاصُ عَلَى التَّسَاجُلِ[483] فِي اقْتِضَابِ الْخُطْبِ، وَالْمَتَهَالِكُونَ عَلَى الْإِفْتِنَانِ فِي الْقَصِيدِ وَالرَّجَزِ – وَلَمْ يَبْلُغْ مِنَ الْجَزَالَةِ وَحُسْنِ النِّظْمِ، الْمُبَالِغَةُ الَّتِي بَزَّتْ بِلَاغَةَ كُلِّ نَاطِقٍ[484]، وَشَقَّتْ غِبَارَ كُلِّ سَابِقٍ، وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الْحَدَّ الْخَارِجَ عَنْ قَوَى الْفُصْحَاءِ، وَلَمْ يَقَعْ وَرَاءَ مَطَامِحِ أَعْيُنِ الْبُصَرَاءِ، إِلَّا